المحور الثاني: أساليب البحث في علم الاجرام

المحاضرة الأولى والثانية:

المحاضرة الثالثة: أساليب متعلقة بالمجرم

المحور الثاني

أساليب البحث فى علم الاجرام

يحتاج كل علم لأساليب ووسائل تمكنه من الوصول للحقيقة بطرق علمية ومنهجية، وعلم الاجرام كباقي العلوم يعتمد على أساليب للبحث تمكنه من الإحاطة بالظاهرة الاجرامية من حيث كمها أو كيفها وأسباب وجودها، ويقتضي التفسير العلمي للظاهرة الإجرامية دراسة حركة الإجرام باختلاف الزمان والمكان، وذلك من أجل التوصل إلى معرفة زمن أو موطن تمركز هذه الظاهرة، ومن ثم الكشف عن العوامل التي تساهم فيها وجودها والظروف التي أدت إلى انتشارها أو انحسارها في فترة زمنية معينة، كما يقتضي دراسة المجرمين بجمع أصنافهم والوقوف على الظروف المحيطة بهم لمعرفة العوامل الخاصة المتصلة بإجرامهم. وعليه نجد أن أساليب البحث في علم الإجرام تنقسم إلى نوعين: أساليب بحث تتعلق بالجريمة، وأساليب بحث تتعلق بالمجرم.

المحاضرة الأولى والثانية:
أساليب البحث المتعلقة بالجريمة

أساليب البحث المتعلقة بالجريمة هي أساليب تتعلق بالجانب الخارجي للظاهرة الاجرامية، فهي تدرس الجريمة باعتبارها ظاهرة في حياة المجتمع وليس باعتبارها متصلة بالفرد، فتسعى للإحاطة بالظاهرة الاجرامية من حيث كمها وكيفها وتحصيل البيانات بطرق وأساليب متعددة واهم هذه الأساليب الدراسات الإحصائية وأسلوب المسح الاجتماعي.

أولا: الدراسات الإحصائية

الدراسات الإحصائية هي الأسلوب الأكثر استعمالا من قبل علم الاجرام الحديث، فمن دون الإحصاءات لا يمكن الوصول إلى التقدير الكمي للظاهرة الاجرامية، فالاسلوب الاحصائي يعد من أقدم الاسالب وأنجعها في دراسة الظاهرة الاجرامية، ويعد معيارا منطقيا لقياس النظريات المتعلقة بدراسة أسباب وعوامل الظاهرة الاجرامية، فمعيار المصداقية للنظريات الدارسة للظاهرة الاجرامية هو مدى صدق الاحصائيات التي تعتمد عليها، لهذا ارتكز عليها الباحثون مع البدايات الأولى لعلم الاجرام، لأنها تقدم بيانات قابلة للتحليل والمقارنة.

وتعد فرنسا مهد الدراسات الإحصائية وذلك عام 1827 حيث قامت بإحصاء سنوي للجرائم التي ارتكبت في أقاليم فرنسا، ويعود الفضل للعالمين الانجليزي كتلييه Quatelet والفرنسي جيري Gerry في تأسيس علم الاجرام الاحصائي.

1- **تعريف الإحصاء الجنائي:**

يعرف الإحصاء أسلوب يعتمد عليه علم الاجرام الحديث، يقوم على ترجمة الظاهرة الاجرامية إلى أرقام لكشف حجمها بين الظواهر الاجرامية الاخرى، سواء انصب ذلك على أنواع الجرائم أو عددها أو على المجرمين أنفسهم، فهو يعد مقياسا لمدى نجاعة القانون والقضاء في مكافحة الظاهرة الاجرامية، والهدف منه معرفة الظاهرة الاجرامية من حيث زيادتها أو نقصانها أو من حيث أسبابها والعوامل الدافعة إليها.

2- **أنواع الإحصاءات الجنائية:** تختلف تسميات أنواع الإحصاءات الجنائية على النحو التالي:

- إحصاءات جنائية بحسب المصدر: وتقسم إلى إحصاءات رسمية عامة وتكون صادرة عن الدولة. وإحصاءات علمية خاصة يقوم بها الباحثون، لكن الملاحظ أن الإحصاءات غالبيتها رسمية بسبب ما تتطلبه من معلومات لا يمكن الحصول عليها من قبل الافراد.

- إحصاءات جنائية بحسب النطاق: وهي مرتبطة بالموقع الخاص بكل منطقة، وتنقسم إلى إحصاءات وطنية؛ وهي خاصة بكل دولة، وإحصاءات دولية؛ وهي أكثر حداثة عن سابقتها وهي التي تنشرها في العادة المنظمة الدولية للبوليس الجنائي(الانتربول) حيث بدأ أول إصدار لها سنة 1952.

- إحصاءات بحسب مصدرها داخل الدولة: وتنقسم إلى ثلاثة أقسام؛ القسم الأول، مصدره الشرطة تتناول فيه ما يصل إلى علمها من جرائم، القسم الثاني مصدره القضاء ويتضمن إحصاء لأحكام الإدانة الصادرة من المحاكم، أما القسم الأخير فمصدره المؤسسات العقابية والسجون ويتضمن الإحصاءات الخاصة بالمساجين.

- إحصاءات بحسب نوعها: وتقسم إلى إحصاءات خاصة بالجرائم وإحصاءات خاصة بالجريمة وهذا النوع الذي سنهتم به أكثر في دراستنا على النحو التالي:

1-**الإحصاءات الخاصة بالجرائم:** ينصب هذا الإحصاء على عدد الجرائم المرتكبة في منطقة معينة، وتفصيل أنواعها كأن يتم إحصاء عدد الجرائم المرتكبة في ولاية الطارف دون الإشارة على نوع هذه الجرائم، فالغاية من ذلك هو قياس نسبة تزايد أو نقصان الاجرام في هذه المنطقة، دون البحث فيما إذا كانت جرائم أموال أو أشخاص أو غير ذلك من أنواع الجرائم.

وعلى العكس من ذلك قد ينصب هذا النوع من الإحصاءات على نوع الجريمة المرتكبة، كأن يتم إحصاء عدد جرائم السرقات أو القتل في منطقة الطارف أو في منطقة الشرق الجزائري، والهدف من هذه الإحصاءات تحديد علاقة ظروف تلك المنطقة بالظاهرة الاجرامية.

كما يمكن أن يكون الإحصاء الخاص بالجرائم كما وكيفا، يهتم بعدد الجرائم وكذلك نوعها وهذا النوع من الإحصاء نجده عادة في الإحصاءات الرسمية. هذا وتقوم الدراسة الإحصائية القائمة على الدراسة الكمية والنوعية على أسلوبين:

- ✓ الأسلوب الثابت: يتم فيه الإحصاء الجرائم في فترة زمنية محددة، حيث يقوم الباحث بالمقارنة بين أجزائها في مختلف المناطق وداخل الدولة الواحدة، أو بين الدولة وباقي الدول الأخرى، فالإحصاء في هذا الأسلوب يتغير بتغير المكان دون الزمان.

والهدف من هذا الأسلوب هو قياس مدى ما حققته الأجهزة المختصة في مكافحة الجريمة مقارنة بغيرها ونفس الفترة، أو قياس مدى فاعلية القانون مقارنة بغيره في الفترة ذاتها.

- ✓ الأسلوب المتحرك: يعتمد الإحصاء في هذا الأسلوب على تغير الزمان على عكس الأسلوب الأول، حيث يتناول فيه الباحث إحصاء الجرائم في فترة زمنية محددة تكون طويلة نسبيا، فيتم تتبع الظاهرة الاجرامية زيادة أو نقصانا، يحاول من خلال ذلك الباحث كشف العلاقة ما بين الظاهرة الاجرامية وبين التغيرات الطارئة على المجتمع في فترات زمنية معينة.

2- **الإحصاءات الخاصة بالمجرمين:** هي إحصاءات تركز على العوامل الفردية للمجرم، أي الصفات الفردية للمجرمين كالسن والاصل والتعليم والمهنة والمستوى الاجتماعي الخاص بهم، والهدف من ذلك هو تبيان مدى تأثير هذه الظروف اللصيقة بالفرد المجرم بالظاهرة

الاجرامية، ومن هذه المؤشرات التي تقدمها الدراسات الإحصائية تتحدد الوجهة التي ينبغي أن يتوجه إليها علماء الاجرام لتفسير الظاهرة الاجرامية ومعرفة العوامل التي تكمن وراء حدوثها.

3- عيوب الإحصاء الجنائي:

رغم ما يقدمه أسلوب الإحصاء الجنائي من صورة رقمية للدلالة على واقع الظاهرة الاجرامية، إلا أنه ينطوي على عيوب كونه لا يقدم إحصاءات دقيقة وصادقة تتناسب مع واقع الجريمة في المجتمع، كون أن هناك فرق كبير بين العدد المقدم من هذه الإحصاءات والعدد الحقيقي للجريمة، ويطلق على هذا الفرق ب"الرقم المظلم" أو "الرقم الأسود" للإجرام، فالعدد الحقيق للجريمة أكبر بكثير من العدد الذي تقدمه الدراسات الإحصائية، ولعل اتساع البون بين العدد الحقيقي والمقدم يعو لأسباب نذكر منها:

- أن هناك جرائم ترتكب ولا يصل العلم إلى الجهات المخولة، إما لعدم اكتشاف مرتكبوها أو لم يتم إلقاء القبض عليهم، كالجرائم الصادرة عن أصحاب الحصانات السياسية والدبلوماسية.
- وجود بعض الأخطاء غير المقصودة في الإحصاء من قبل المختصين بذلك، قد تكون أخطاء مطبعية أو في حساب الجرائم.
- عدم وصول بعض الجرائم إلى علم السلطات المختصة بسبب حساسيتها وعدم التبليغ عنها، أو التستر على مرتكبها كجرائم العرض والشرف التي يتم عادة التكتم عليها بسبب طبيعة المجتمع الجزائري وعاداتهن وحفاظا على سمعة العائلة، وكذلك الجرائم المتعلقة بالرشوة التي يتخطى فيها الرقم الأسود الحدود.
- التحريف المتعمد للإحصاءات الجنائية، لأن الإحصاءات أضحت أداة سياسية يتم التلاعب بها من أجل إيصال صورة مشرقة للعالم تخص هذا البلد مفادها أن هذا البلد استتب فيه الأمن والاستقرار ويكاد يخلو من الجريمة ومن ثم تحقيق الأغراض السياسية المرجوة منها.

ثانيا: المسح الاجتماعي

يأتي أسلوب المسح الاجتماعي في إطار الدراسة الوصفية التي تهدف إلى جمع الحقائق عن الظاهرة الاجرامية من أجل إبراز خصائص تلك الظاهرة ثم تعميم النتائج العلمية المتوصل إليها على جميع الظواهر الاجرامية المشابهة إليها. سنتطرق في هذا المقام إلى تعريف أسلوب المسح الاجتماعي وأنواعه.

1- تعريف أسلوب المسح الاجتماعي

يعرف أسلوب المسح الاجتماعي في مجال علم الاجرام بأنه تجميع للمعلومات والبيانات التي تخص عينة الدراسة (فئة المجرمين)، أو مجموعة من الجرائم التي تخص مجال الدراسة (سرقة، قتل، دعارة)، وذلك خلال فترة معينة أو في وسط اجتماعي معين كالريف أو في زمن محدد كفترة انتشار وباء كورونا.

ويعد المسح الاجتماعي في علم الإجرام من انواع المسوح المتخصصة التي تختلف كثيرا عن المسوح العامة التي تكون نتائجها أقل مصداقية ودقة من المسوح المتخصصة، كما يعد المسح الاجتماعي مسحا تفسيريا كونه يسعى إلى الكشف عن العلاقة بين السلوك الإجرامي وعوامل معينة اجتماعية أو فردية، بغرض الوصول إلى معلومات قد تكون شخصية تفيد في بيان السمات الشخصية الاجتماعية للمجرمين كالسن أو المهنة أو التعليم أو الدين أو الحالة المادية، وقد تكون معلومات تخص البيئة التي يعيش فيها.

2- **أنواع المسح الاجتماعي:** تتم عملية المسح الاجتماعي بإحدى الصورتين التاليتين:

- صورة النموذج الاستجوابي: تتحقق صورة النموذج الاستجوابي بأن يعد الباحث نموذجا يتضمن مجموعة من الأسئلة تخص الظروف التي يعيش فيها الفرد محل الدراسة، كالظروف الاجتماعية أو الصحية أو المالية أو النفسية، ويوزع صورا من هذا النموذج على أفراد منطقة معينة تتميز بطابع إجرامي من نوع خاص، بعد استعادة الإجابات من أفراد عينة الدراسة،

تتم عملية التنسيق والتحليل التي تسهل على الباحث الربط بين أنواع الجرائم ومدى تعددها من جهة، وبين الظروف المشتركة السائدة في تلك المنطقة من جهة أخرى.ويمكن حصر مجال الدراسة في هذا النموذج في نطاق ضيق كأن تخص الدراسة عائلة واحدة فقط، ويتم جمع المعلومات بنفس الطريقة السابقة.

- صورة دراسة البيئة: وتسمى أيضا بالدراسة الإيكولوجية وهي ترجمة للمصطلح الفرنسي Ecology وهو مصطلح يستخدم للتعبير عن العلاقة بين الفرد والبيئة الطبيعية أو الاجتماعية التي يعيش فيها، وتتم طريقة دراسة البيئة بأن يقوم الباحث الدارس بتقسيم المكان الذي يجري عليه بحثه إلى مناطق صغيرة محددة تجمع بينها عوامل وظروف موحدة من الناحية الثقافية والاجتماعية والجغرافية بشرط أن تكون في وقت واحد، كأن تقسم المنطقة على أساسا موقعها الجغرافي أو مكانتها الاقتصادية، ولا يراعى في هذا التحديد التقسيمات الإدارية إنما يكون تحديدا حسب مجال معين من المجالات التي ذكرناها آنفا، ثم بعد ذلك يقوم الباحث بدراسة ظاهرة الإجرام داخل كل منطقة من أجل الوصول إلى تحديد القواعد التي تربط بين ظاهرة الجريمة محل البحث والدراسة ومختلف الظروف السائدة في كل منها.

3- عيوب أسلوب المسح الاجتماعي:

لا أحد منا ينكر أهمية أسلوب المسح الاجتماعي في تفسير الظاهرة الاجرامية، رغم ذلك لم يسلم هو الاخر من الانتقادات، من بينها:

- أن الإجابات المقدمة من قبل عينة الدراسة عن الأسئلة المطروحة عليهم تكون موضعا للشك، إذ لا يوجد ما يثبت صدق هذه المعلومات.
- أن أسلوب المسح الاجتماعي يستلزم تعدد الباحثين القائمين بالدراسة، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف المصداقية والموضوعية والتجانس، فكل باحث يعبر في بحثه عن رأيه الخاص وهو ما يؤثر عل أسئلته وملاحظاته ودراسته للحالة، ولهذا يعد من المجازفة تعميمها وصياغتها في شكل قواعد عامة.